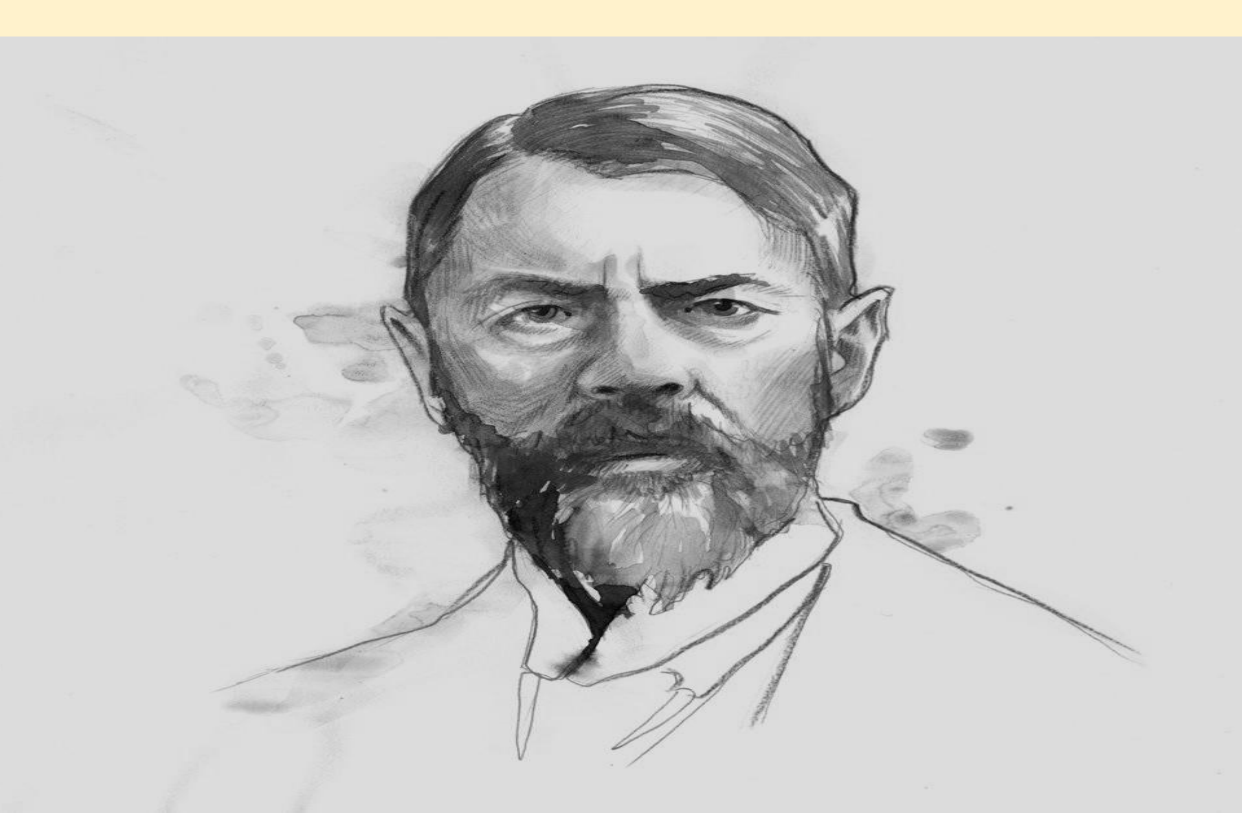


نحـــو عـــــلم اجتمــــــاع تنـــويـــري
Towards an enlightened sociology
الدراســات والأبحـاث الإنسانية والسوسيولوجية

منهجية الفهم والـتأويل عند ماكس ڤيبر إنك تدرس لكي تفهم

(دراسة تحليلية- نقدية)

حســـــام الـــدين فيـاض
باحـــث وأكاديمي ســوري



• أبحاث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

• حسام الدين فياض

• منهجيات البحث السوسيولوجي (الكيفي) / منهجية الفهم والتأويلي

• منهجيــة الفهــم والــتأويل عنــد مــاكس فيبــر " إنــك تــدرس لكــي تفهــم " (دراســة تحليلية- نقدية)

• نحو علم اجتماع تنويري للدراسات والأبحاث الإنسانية والسوسيولوجية

• بحث محكم (إلكتروني)

• نُشــر فــي مجلــة ريحــان للنشــر العلمــي (ســوريا) فــي 28-06-2024 - العــدد: (48)

• تــم إعــادة النشــر بواســطة نحــو علــم اجتمــاع تنــويري فــي 05 أغســطس – آب 2025 – ماردين

• **Research in the Humanities and Social Sciences**

• **HOSSAM ALDIN FAYAD**

• **Sociological research methodologies (qualitative) / understanding and interpretation methodology**

• **Max Weber's methodology of understanding and interpretation: "You study in order to understand" (an analytical-critical study)**

• **Towards an Enlightenment Sociology for Human and Sociological Studies and Research**

• **Peer-reviewed research (electronic)**

• **Published in Rayhan Journal for Scientific Publishing (Syria) on 06-28-2024 - Issue: (48)**

• **Republished by Towards an Enlightened Sociology on August 5, 2025 – Mardin**

- نُشر هذا البحث في مجلة ريحان للنشر العلمي:

- فياض، حســام الدين. (2024). **منهجية الفهم والـــــتأويل عند ماكس فيبر "إنك تدرس لكي تفهم" (دراســة تحليلية – تطبيقية)**. مجلة ريحان للنشر العلمي. المجلد: 7. العدد: 48. سوريا. ص(292-325).

• https://rjsp.org/the-methodology-of-understanding-and-interpretation-according-to-max-weber-you-study-in-order-to-understand-analytical-critical-study/

منهجية الفهم والـتأويل عند ماكس ڤيبر
" إنك تدرس لكي تفهم "

(دراسة تحليلية- نقدية)

The methodology of understanding and interpretation according to Max Weber: "You study in order to understand"

(Analytical-critical study)

ملخص البحث: يهدف البحث إلى دراســـة وتحليل ونقد منهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر، بالإضـــافة إلى توضـــيح كيفية بناء النموذج المثالي. وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي– النقدي في دراســة موضــوع البحث. وتوصــل البحث إلى أن ڤيبر حرص أن يحدد مقولة الفهم والتأويل كأســاس منهجي للكشــف عن معاني الأفعال والظواهر الاجتماعية في المجتمع ككل، كما خلص البحث إلى أن دراســـة معاني الأفعال الاجتماعية تتطلب وجود أداة منهجية أطلق عليها ڤيبر النموذج المثالي وهو عبارة بناء عقلي يتشكل أثناء ظهور أو وضـوح سـمة أو أكثر يمكن ملاحظتها في الواقع الاجتماعي تُستخدم لتحقيق الفهم السوسيولوجي في دراسة الظواهر السسوسيو– ثقافية. وفي النهاية، أوصى البحث بضرورة إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث التحليلية والنقدية حول منهجية ڤيبر التفهيمية لتوضـــيح الملابســـات الفكرية وأحداث الســـياق الاجتماعي وتفاعلاته التي ساهمت في إنضاج وإرساء مقاربته المنهجية، بالإضافة إلى اعتبارها من أهم المنهجيات التي تصلح لدراسة مشكلاتنا وظواهرنا الاجتماعية؛ لأنها تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الثقافية الخاصة بكل مجتمع كمدخل منهجي عند القيام بإجراء البحوث السوسيولوجية بالاعتماد على نماذج مثالية يمكن توظيفها لفهم وتأويل الواقع الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: المنهجية، الفهم، التأويل، ماكس ڤيبر.

Abstract: The research aims to study, analyse and criticize Weber's methodology of understanding and interpretation, in addition to clarifying how to build an ideal model. The research relied on the analytical-critical approach in studying the research topic. The research concluded that Weber was keen to define the concept of understanding and interpretation as a methodological basis for revealing the meanings of actions and social phenomena in society as a whole. The research also concluded that studying the meanings of social actions requires the presence of a methodological tool that Weber called the ideal model, which is a mental structure that is formed during the emergence or clarity. One or more observable features of social reality that are used to achieve sociological understanding in the study of socio-cultural phenomena. In the end, the research recommended the necessity of conducting more analytical and critical studies and research on Weber's interpretive methodology to clarify the intellectual circumstances and events of the social context and its interactions that contributed to the maturation and establishment of his methodological approach, in addition to considering it one of the most important methodologies suitable for studying our problems and social phenomena. Because it takes into account the cultural variables specific to each society as a methodological input when conducting sociological research based on ideal models that can be employed to understand and interpret social reality.

Keywords: methodology, understanding, interpretation, Max Weber.

المقدمة:

إذا كانت **المنظورات الوظيفية والصـــراعية** تؤكد على أهمية البناء الاجتماعي في تشـــكيل وتوجيه أفراد المجتمع والتأثير على سلوكهم الإنساني، فإن **نظرية الفعل الاجتماعي** على الطرف الآخر تولي اهتماماً كبيراً لدور الفعل والتفاعل بين أفراد المجتمع في تكوين تلك البنى.

تعد السوسيولوجيا بالنسبة إلى ڤيبر، العلم الذي يستطيع الباحث من خلاله فهم الإنسان وفهم العالم وفهم طبيعة الأشـــياء كما هي وليس كما يريدها هو أن تكون، وبما أن الواقع الاجتماعي مليء بالتعقيدات ولا نســـتطيع فهمه وتفســـيره بســـهوله، اســـتعان ڤيبر بآليات متميزة ومفاهيم أصبحت مرتبطة باسمه وبتاريخه الفكري، ولذلك نجده يعرّف السوسيولوجيا على أنها العلم الذي يحاول فهم وتأويل الفعل الاجتماعي وتفســـيره بطريقة ســـببية لمعرفة تطوره وآثاره **(عدنني، 2013: 7)**. أي إن دور علم الاجتماع يبرز في اســـتيعاب المعاني التي ينطوي عليها الفعل الاجتماعي والتفاعل، لا في تفســـير طبيعة القوى الخارجية التي تدفع الناس إلى نمط معين من الأفعال.

يعتبر ماكس ڤيبر من **أوائل المفكرين الســـوســـيولوجيين** الذين دعوا إلى تبني **منظور الفعل الاجتماعي** " وأبرز رواد الفكر الحديث الذين تركوا بصـــمات واضـــحة على مســـار الفكر الســـوســـيولوجي منذ بدايات القرن العشـــرين وحتى يومنا هذا " **(عدنني، 2013: 7)، وذلك بتجاوز التفسير العلمي نحو التأويل الذاتي والإنساني من خلال التركيز على الفعل الاجتماعي بدلاً من البنية الاجتماعية، والتمييز بين العلوم الوضـــعية القائمة على التفســـير الســـببي والعلي، والعلوم الإنســانية والثقافية المبنية على إنجاز فهم الفعل الاجتماعي وتأويله من أجل الوصول إلى نتائجه ومساراته.**

يرى ڤيبر أن **الدوافع والأفكار البشـرية** هي التي تقف وراء **التغير الاجتماعي**، وبمقدور **الآراء والقيم والمعتقدات** أن تســـهم في التحولات الاجتماعية، بالإضـــافة إلى تأكيده على الدور الهام

الذي تلعبه **الأفكار** في تحقيق **الفهم الداخلي للعمليات التاريخية.** كما بوسع الفرد أيضاً – حسب ڤيبر – أن يتصرف بحرية ويرسم مصيره في المستقبل. ولم يكن يعتقد ڤيبر كما يعتقد دوركايم وماركس أن للبنى الاجتماعية وجوداً مستقلاً عن الأفراد بل كان يرى أن **البنى في المجتمع إنما تتشكل بفعل تبادلي معقد بين الأفعال، ومن هنا فإن من واجب عالم الاجتماع أن يتفهم المعاني الكامنة وراء هذه الأفعال (فياض، 2021: 337).**

وهكذا نجد أن لكل علم موضوع ومنهج خاص به يعطي له الشرعية العلمية، فالمشكلة لا ترتبط بتأسيس المنهج بقدر ما تتعلق بمدى **انسجام الموقف الابستمولوجي بالموقف الأنطولوجي**، أي مدى علمية المنهجية في دراسة طبيعة الموضوع في ذلك العلم **(عبد النور، 2017).**

والدليل على ذلك أن رواد علم الاجتماع الأوائل لم يختلفوا على طبيعة المتغيرات التي تشكل الواقع الاجتماعي بل اختلفوا في أولوية متغير ما على باقي المتغيرات، فعلى سبيل المثال نجد أن الماركسية تعطي الأولوية للمتغيرات الاقتصادية وترى أنها مرجعية انطلاق السببية، وأنها تؤثر على التفاعل الاجتماعي وكافة المتغيرات الأخرى، على حين **يؤكد ماكس ڤيبر على المتغيرات الثقافية**، بينما يذهب **دوركايم** إلى إبراز دور وفاعلية المتغيرات الاجتماعية، بينما يؤكد **فلفريدو باريتو** على فاعلية المتغيرات السياسية والسيكولوجية **(فياض، 2024: 200).**

مما أدى إلى تضاد وتنافس المقاربات المنهجية بهدف دراسة الواقع الاجتماعي دراسة علمية، ولعل من أهم التيارات التي اجتهدت في تأسيس مناهج علمية لدراسة الظواهر الاجتماعية هي المنهجية التأويلية التي **أسس لها الرائد السوسيولوجي ماكس ڤيبر**، حيث اعتبرت من أهم المقاربات التي ساهمت في تبلور منهج الفهم الذاتي لديه، ثم إبراز ماهية وطرق تطبيق هذا المنهج بالنسبة له **(عبد النور، 2017).**

بناءً عليه، سنحاول في هذا البحث دراسة **منهجية الفهم والتأويل عند ماكس ڤيبر** من خلال القيام بمجموعة من الإجراءات والخطوات المنهجية التي تشكل جوهر علمية البحث السوسيولوجي– النظري، بالإضافة إلى تأسيس الإطار التحليلي وتحديد عناصره الأولية بهدف تحليل ونقد قضية البحث لتحقيق النتائج المرجوة منها. بذلك ينحصر **الإطار المنهجي والتحليلي** للبحث، فيما يلي:

قضية البحث:

تنتمي **منهجية ڤيبر** إلى اتجاه **علم الاجتماع التأويلي** الذي يتكون من مجموعة متنوعة من المناهج التي تؤمن بأن دراســة علم الاجتماع يجب أن تنطلق من العمل الإنســاني، وليس من البناءات الاجتماعية، وأن هذه الأعمال يجب أن تدرس من خلال تفســير معناها الموضــوعي للفاعل الفردي. بذلك تســعى المنهجية الڤيبرية إلى **فهم الظاهرة الاجتماعية من خلال استخلاص دلالات أفعال الأفراد، واستكشاف معانيها ومقاصدها وغاياتها ونواياها.** ولكن فهم الفعل الإنساني لدى ڤيبر ليس مسعى سيكولوجياً، بل هو محاولة لفهم السيرورة المنطقية التي تقود الفاعل الاجتماعي إلى اتخاذ قرار ما في ظرف خاص تبعاً للأهداف التي يتوخاها والوســائط التي يتوســلها، من أجل التوصــل إلى فهم تفســيري للفعل الاجتماعي. وهذا يدل أن التوجه المنهجي لدى ڤيبر يتســم **بالطابع الدلالي والتفهمي والتأويلي**، والتركيز على **الذات بدل الموضوع** من خلال دراسة الفرد في علاقته بأعضاء الجماعة التي ينتسب إليها أو علاقاته مع المجتمع في كليته، بالتوقف عند مختلف الدلالات والمعاني والمقاصـــد والغايات والنوايا التي يعبر عنها هذا الفعل الإنساني والسلوكي، في علاقته بأفعال الآخرين، ضمن الكينونة المجتمعية نفسها. وهذا التصور بطبيعة الحال يندرج ضمن النظرة التفاعلية إلى المجتمع، فالأفراد يؤثرون في المجتمع بأفعالهم الواعية والهادفة، والمجتمع بدوره يؤثر في الأفراد. ويذهب ڤيبر إلى أن دراســـة معاني الأفعال الاجتماعية تتطلب وجود **أداة منهجية** أطلق عليها **النموذج المثالي أو الخالص** وهو عبارة عن بناء عقلي يتشــكل من خلال ظهور أو وضــوح ســمة أو أكثر يمكن

ملاحظتها في الواقع الاجتماعي، وهذا يعني أن رؤية ڤيبر المنهجية تتكون من النموذج المثالي، ونسق المعاني من خلال فهم الفعل الاجتماعي وتأويله. بناءً على ما تقدم ترتكز قضية البحث على **دراسة وتحليل ونقد منهجية الفهم والتأويل عند ماكس ڤيبر**.

أهمية البحث:

بالاستناد إلى قضية البحث، تكمن أهمية البحث من خلال تسليط الضوء على الأبعاد التالية:

1. توضيح الدور المحوري والهام للمنهجية الڤيبرية في فهم وتأويل معاني الأفعال الاجتماعية خاصةً على مستوى الميكروسوسيولوجي (الوحدات الاجتماعية الصغرى) لفهم أدق وأعمق لطبيعة العلاقات الاجتماعية البين ذاتية.
2. تبيان مدى قدرة المنهجية الڤيبرية المستندة إلى النموذج المثالي في تقييم الواقع الاجتماعي المدروس في فترات زمنية معينة لاستخلاص النموذج المثالي الذي يعتبر أداة تحليلية فهم الظواهر المجتمعية.
3. إعادة النزعة الإنسانية للعلوم الاجتماعية التي افتقدتها في ظل توظيف المنهجية الوضعية في دراسة الظواهر الاجتماعية مما أدى إلى فرض المقولات الكمية على الواقع وإخضاع جميع الوقائع والظواهر للقوانين الشكلية والقواعد القياسية والنماذج الرياضية والأرقام الإحصائية.
4. تنمية قدرة أفراد المجتمع على فهم وتأويل مضامين ومعاني ومقاصد الأفعال الاجتماعية لبناء علاقات اجتماعية إيجابية مع الآخرين تخلو من الفهم والتأويل الخاطئ خلال عملية التفاعل الاجتماعي فيما بينهم.
5. مهدت منهجية ڤيبر الطريق لتأسيس علم الاجتماع التأويلي الذي يقوم على دراسة الأفعال الاجتماعية ومعانيها بواسطة التحليل السوسيولوجي **قصير المدى** للأنساق

الاجتماعية بوصفها نتاجاً إنسانياً يتشكل عبر تفاعلات الأفراد مع بعضهم البعض. وذلك على عكس علم الاجتماع البنائي الذي يرتكز على المنهجية الوضعية.

مبررات اختيار موضوع البحث: تنحصر في الاعتبارات التالية:

1. رغبة الباحث في التعمُّق في دراسة منهجية الفهم والتأويلي عند ڤيبر خاصةً أن الاجتماع الإنساني في الآونة الأخيرة أصبح لا يقيم وزناً كبيراً للأبنية الاجتماعية المجردة والكبيرة في سياق تعاملاته وتفاعلاته مع الآخرين.
2. لفت انتباه الباحثين في مجال دراسة العلاقات الاجتماعية (المُنمنمات الاجتماعية) إلى ضرورة الأخذ بمنهجية ڤيبر التفهيمية كونها الأقدر على فهم وتأويل معاني الأفعال وبواعثها في سياق بناء العلاقات الاجتماعية.
3. إثراء المكتبة العربية بمزيد من الدراسات التحليلية والنقدية حول منهجية ڤيبر التفهمية لأنها تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الثقافية الخاصة بكل مجتمع عند القيام بدراسة ظواهر الواقع الاجتماعي بواسطة استخلاص النموذج المثالي.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة بناءً على ما تقدم إلى تحقيق مجموعة من الأهداف التي تشكل بحد ذاتها منطلق الدراسة وجوهرها، وهي كالآتي:

1. توضيح جوهر علم الاجتماع التأويلي.
2. توضيح مفهوم السوسيولوجيا والمجتمع عند ڤيبر.
3. تبيان منهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر.
4. توضيح مفهوم النموذج المثالي وعلاقته بمنهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر.

– تساؤلات البحث:

تطرح الدراسة التساؤل الرئيسي التالي: **ما هي منهجية الفهم والتأويل عند ماكس ڤيبر؟** وهذا التساؤل يحلينا للإجابة على التساؤلات الفرعية التالية:

1. ما هو جوهر علم الاجتماع التأويلي؟
2. ما هو مفهوم السوسيولوجيا والمجتمع عند ڤيبر؟
3. ما هي منهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر؟
4. ما هو مفهوم النموذج المثالي؟ وما علاقته بمنهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر؟

منهجية الدراسة:

تمثل منهجية الدراسة أهمية بالغة في الدراسات العلمية، حيث يمكن من خلالها التوصل إلى النتائج العلمية والموضوعية. وتقتضي منهجية البحث تحديد المنهج الذي سيُتبع في البحث. بناءً على موضوع البحث تم تحديد عناصر الإطار المنهجي، بما يلي:

1– **نوع الدراسة:** تنتمي هذه الدراسة إلى حقل الدراسات التحليلية – النقدية التي تتبع الأسلوب الكيفي (النظري)، حيث تسعى إلى تحليل وتفسير ونقد المصادر والمراجع التي كُتبت حول موضوع البحث بشكل سردي ومنطقي من أجل الوصول إلى نتائج موضوعية حول قضية البحث المطروحة.

2– **منهج الدراسة:** بناءً على موضوع البحث الحالي وتحقيقاً لأهدافه اعتمد البحث على **المنهج التحليلي – النقدي** في دراسة " **منهجية الفهم والتأويل عند ماكس ڤيبر (إنك تدرس لكي تفهم)** "، لمعرفة زاوية اقتراب منهجية ڤيبر التفهيمية من دراسة الظواهر الاجتماعية.

يعتبر **منهج التحليلي** عملية من عمليات العقل الأساسية، فعندما نريد فهم وتفسير قضيةً ما، فإننا غالباً ما نجزئها إلى مكوناتها الأساسية ونحاول أن نعيدها إلى جذورها التي نشأت منها، وذلك لنبين أسسها التي أوجدتها، لتصبح أسبابها واضحة. بمعنى آخر إرجاع القضية البحثية

إلى العوامل التي أدت إلى وجودها لتوضيح دورها وقدرتها في تفسير الواقع الاجتماعي، حتى يسهل فهمها **(حسن، 2012: 190)**. أما **المنهج النقدي** هو مجمل الإجراءات والعمليات الذهنية التي يقوم بها الباحث لإظهار حقيقة الأشياء والظواهر التي يدرسها، وهو بذلك طريقة في التفكير يتم من خلالها بناء تصور حول القضية موضوع الدراسة بغية الوصول إلى حلول لها **(حامدي، 2015–2016: 7)**، كما أن المنهج النقدي يسعى إلى اختبار توافق نظرية ما مع مبادئها **(فضل، 2002: 11)**، لأن النقد ضرورة لازدهار الحقل المعرفي من حيث طبيعته التأسيسية والتأصيلية معاً. ليتمكن الناقد من التزود بالأصول والمعايير والأدوات التي تساعده على وضع الأسس المنهجية التي يمكن أن يتخذ منها سبيلاً يسلكه في نقده لقضية معينة **(مرتضى، 2007: 53–54)**.

3– الإطار التحليلي: تتطلب أي دراسة جادة من الباحث، وضع **إطار تحليلي** يساعد على فهم وتحليل المتغيرات والتفاعلات المتعلقة بقضية البحث، **لأن هذا الإطار هو السبيل الذي يحدد لنا كيفية الوصول إلى تحقيق الهدف العام للبحث.** ولأنه يعمل بمثابة المصباح الذي ينير الطريق للباحث في استكشاف المفاهيم الأساسية التي سيبنى في ضوئها البحث، وتحديد العلاقات بين تلك المفاهيم **(السعدي وآخرون، 2010: 197)**. لذا نقترح في هذا السياق أن يكون الإطار التحليلي للبحث مكوّن من عدة قضايا محورية يتم فيها الالتزام بالإجابة على تساؤلات البحث بهدف دراسة وتحليل ونقد قضية البحث، وهو كالآتي:

1. **المبحث الأول:** ماهية علم الاجتماع التأويلي.
2. **المبحث الثاني:** مفهوم السوسيولوجيا والمجتمع عند ڤيبر.
3. **المبحث الثالث:** منهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر.
4. **المبحث الرابع:** مفهوم النموذج المثالي وعلاقته بمنهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر.

المبحث الأول: ماهية علم الاجتماع التأويلي

يندرج تحت مفهوم **علم الاجتماع التأويلي** مجموعة متنوعة من المناهج التي ترى أنه على علم الاجتماع أن يبدأ من العمل الإنســاني، وليس من البناءات الاجتماعية، وأن هذه الأعمال يجب أن تدرس من خلال تفسير معناها الموضوعي للفاعل الفردي **(سكوت، 2009: 421)**.

يهتم علم الاجتماع التأويلي بالدرجة الأولى بكيفية قيام الأفراد والجماعات بتأسيس المجتمع وإضــفاء معنى عليه ومعايشـــة الحياة فيه، بدلاً من الاهتمام بكيفية تأثير المجتمع على الأفراد والجماعات **(عبد الجواد، 2011: 63)**. بمعنى آخر تمثل المعاني التي ينتجها الأفراد في تفاعلاتهم جوهر الأطروحة الأســاســية لعلم الاجتماع التأويلي فيمكن اعتباره اتجاهاً في تأويل المعنى أساساً **(الحوراني، 2008: 25)**.

يركز هذا التحليل السوسيولوجي **(قصير المدى)** على الأنساق الاجتماعية باعتبارها نتاجاً إنسانياً يتشكل عملياً بموجب تفاعلات الأفراد مع بعضهم البعض وهذه الفكرة تقف على الجانب الآخر من الوجود الاجتماعي الذي ركز عليه علم الاجتماع البنائي **(الحوراني، 2008: 25)**. وفي هذا الصـــدد نجد أن علم الاجتماع التأويلي يشــتمل على **أربع مكونات أســاســية**، وهي كالآتي: **(الحوراني، 2008: 25)**

- **الأول:** التركيز على تفاعلات الوجه لوجه الفاعلين الاجتماعيين والتواصل البين ذاتي أكثر من التركيز على الوحدات الاجتماعية الكبرى المجردة كالطبقات.
- **الثاني:** التركيز على المعاني أكثر من الوظائف ولذلك يحاول تفسـير وتأويل المعاني التي يلصقها الأفراد بأفعالهم.
- **الثالث:** يركز على الخبرة المعاشة أكثر من المفاهيم المجردة مثل المجتمع والمؤسسات.
- **الرابع:** السلوك الإنساني ليس حتمياً أو مكتسباً، بل هو عملية اختيارية، ويتحدد السلوك في ضـــوء المواقف التي تواجه أفراد المجتمع وتفســيرهم للمعاني التي تحملها أفعال الكائنات الأخرى **(جونز، 2010: 153-154)**.

وفي حقيقة الأمر، يسعى هذا الاتجاه النظري نحو الابتعاد عن أي نظرة ترى المجتمع كياناً قائماً بذاته مستقلاً عن الأفراد المكونين له والتركيز بدلاً من ذلك تركيزاً فجاً على الأساليب التي يخلق بواسطتها البشر عالمهم الاجتماعي **(الحوراني، 2008: 25)**. بمعنى آخر، في **علم الاجتماع التأويلي** يتم التنكر لكل القوى الخارجية التي يمكنها أن تمارس تأثيراً على الأفراد وتوجه سياقات المعنى في تفاعلاتهم باعتبارهم هم من يشكلون الحقيقة الاجتماعية **(الحوراني، 2008: 25-26)**. أي الناس يتجهون في حياتهم من الذات إلى خارجها مؤكدين أن الأفراد هم الذين يشكلون المجتمع، من خلال التأكيد على أهمية المعاني للاتصال بما يشمله من لغة وإيماءات وإشارات، بالإضافة إلى التوقعات التي تكون لدى الآخرين عن سلوكنا في ظروف مواقف معينة خلال عملية التفاعل الاجتماعي **(جونز، 2010: 154-156)**. يعتمد علم الاجتماع التأويلي على **منهجية** فهم الفعل الاجتماعي وتأويله، مع تفسير هذا الفعل المرصود سببياً بربطه بالآثار والنتائج. ويقصد بالفعل سلوك الفرد أو الإنسان داخل المجتمع، مهما كان ذلك السلوك ظاهراً أو مضمراً، صادراً عن إرادة حرة أو كان نتاجاً لأمر خارجي. ومن ثم، يتخذ هذا الفعل - **أثناء التواصل والتفاعل** - معنى ذاتياً لدى الآخر أو الآخرين، مادام هذا الفعل الاجتماعي مرتبطاً بالذات والمقصدية **(حمداوي، 2017: 56)**. وهنا ينتقل علم الاجتماع التأويلي من عالم الأشياء الموضوعية إلى الأفعال الإنسانية. أي انتقل من الموضوع إلى الذات، أو من الشيء إلى الإنسان. كما تجاوز المقاربة الوضعية نحو **المقاربة الهيرمونيطيقية** التي تقوم على الفهم والتأويل الذاتي الإنساني. وبهذا قد أحدث قطيعة ابستمولوجية، ضمن مسار علم الاجتماع، بتأسيس مدرسة الفعل الاجتماعي أو المدرسة التأويلية **(حمداوي، 2017: 56-57)**.

ومن أهم منظورات هذا الاتجاه: **نظرية الفعل الاجتماعي** يمثلها ماكس فيبر. **التفاعلية الرمزية** يمثلها: جورج هربرت ميد، جورج بلومر. **الاثنوميثودولوجيا** يمثلها: هارولد جارفنكل، **الفينومينولوجيا** يمثلها: أدموند هوسرل، ألفرد شوتز، **التبادل الاجتماعي** يمثلها: جورج هومانز، بيتر بلاو. **نظرية الفعل التواصلي** يمثلها: يورغن هابرماس. وفي النهاية نلاحظ أن ثمة منهجين مهيمنين في علم الاجتماع: منهجاً علمياً موضوعياً يتكئ على التفسير السببي والعلّي، ومنهجاً

ذاتياً إنشائياً تأملياً وأخلاقياً وتأويلياً يقوم على الفهم. ويعني هذا أن ثنائية الذاتية والموضوعية حاضرة في مجال دراسة علم الاجتماع العام.

المبحث الثاني: مفهوم السوسيولوجيا والمجتمع عند ڤيبر

يعتقد ڤيبر أن **العلم** يستطيع أن **يساعد البشر بالوسائل التي يتيحها وليس بالغايات**، ذلك لأن العلم لا يستطيع أن يدلنا على القيم الحقيقية، ومن ثم فإن الصراع بين القيم مسألة حتمية وبخاصةً في المجتمعات الحديثة التي تتسم بالتعقيد. هذا بالإضافة إلى أنه من المستحيل ترتيب القيم من خلال العلم بالنظر إلى مقياس شامل متفق عليه. وفي إطار ذلك فإن كل ما يستطيع العلم أن يمدنا به هو الوضوح **(فياض، 2022).**

وفي حالة علم الاجتماع فإن الوضوح يتجسد فيما يتعلق بسلوكنا من حيث دوافعه وغاياته ونتائجه، ذلك لأن علم الاجتماع يساعدنا على توضيح طبيعة التوجيه القيمي لأفعال البشر وأنماط القيم التي ينبغي عليهم اعتناقها. هذا بالإضافة إلى أنه يساعد على إيضاح وسائل تحقيق هذه القيم، وتحديد تكاليف نتائج ذلك بالنسبة للقيم الأخرى. يعني ذلك أن علوم الثقافة التي ينتمي إليها (التاريخ وعلم الاجتماع) حسب ڤيبر تعمل على فهم الإنتاج الإنساني الذي يخلق القيم **(فياض، 2021: 338-339).**

بناءً على ما سبق نجد أن ڤيبر يركز بدراسته على الفعل الاجتماعي الذي يتحقق بالتفاعل بين الذوات والآخرين. ويتخذ هذا الفعل معنى ذاتياً وغرضياً. ومن هنا فقد انتقل ماكس ڤيبر بعلم الاجتماع من **عالم الأشياء الموضوعية إلى الأفعال الإنسانية.** أي انتقل من **الموضوع إلى الذات، أو من الشيء إلى الإنسان.** ويعني هذا أن ڤيبر كان يأمل لعلم الاجتماع أن يحتفظ بميزات العلوم الثقافية والروحية. فضلاً عن ميزات العلوم الطبيعية **(فياض، 2021: 339).**

ويُعرف ڤيبر **السوسيولوجيا**، بأنها العلم الذي يُعنى بفهم الفعل أو **النشاط الاجتماعي** وتأويله، وثم التفسير السببي لمساره ونتائجه " **(بريتلو، 1999: 44).** ويمكن القول أيضاً هي العلم الذي يحاول أن يدرس الفهم التأويلي للفعل الاجتماعي من أجل الوصول إلى تفسير علمي لمجراه وآثاره. ويشتمل **الفعل الاجتماعي** على كل مظاهر السلوك الإنساني طالما يضفي عليها

الأفراد معناً ذاتياً " **أي ذي معنى وموجه ذاتياً حسب سلوك الأفراد الآخرين** " **(ڤيبر، 2015 :178)**، بمعنى آخر، هو الفعل الذي له معنى الذي يمكن فهمه، والمعاني هي البواعث التي تحرك سلوك الأفراد وتحوله إلى سلوك اجتماعي. " وهذا يعني أن ڤيبر نظر إلى الفعل ***Action*** بأنه سلوك إنساني، ظاهر أو مستتر، يمنحه الفرد الفاعل معناً ذاتياً. فالسلوك الذي يخلو من المعنى الذاتي لا ينتمي إلى الدراسة السوسيولوجية المتعمقة " **(تيماشيف، 1978: 262)**.

أي إن السوسيولوجيا حسب ڤيبر هي العلم الذي يهتم برصد معنى الفعل الاجتماعي وتأويله، ثم تفسير حدثه ونتيجته سببياً – سببية المقاصد والغايات – بالبحث عن العلاقات السببية بين النوايا، الحوافز... التي أدت به إلى سلوكيات يترجمها على شكل وسائل... لبلوغ أهداف معينة **(عبد النور، 2017)**.

أما فيما يخص تعريف **المجتمع** يرى ڤيبر أنه نتاج لفعل الأفراد الذين يتصرفون تبعاً للقيم والدوافع وللحسابات العقلانية. إن توضيح الاجتماعي يعني –إذاً– التنبه إلى الطريقة التي يوجه بحسبها الناس أفعالهم. هذا النهج هو نهج السوسيولوجيا التفهيمية. وفي هذا السياق يقول ڤيبر: " **إن ما ندعوه سوسيولوجيا هو علم مهمته الفهم، عن طريق تأويل النشاط الاجتماعي** " **(كابان. دوريته، 2010: 48)**. ويعني هذا أن المجتمع يتكون من مجموعة من الأشخاص الذين يقومون بسلوكيات أو أفعال أو أعمال، وهذه الأفعال هي جوهر علم الاجتماع.

إن هدف **السوسيولوجيا الرئيسي عند ڤيبر هو فهم الفعل الاجتماعي وتأويله**. أي: الإجابة عن سؤال جوهري ألا وهو: **كيف يرى الناس سلوكهم ويفسرونه؟** بمعنى أن **الفعل الإنساني** عند ڤيبر هو السلوك الذي يحمل دلالة ومعنى وهدفاً. وأما **الفعل المجتمعي**، فهو السلوك الذي يسلك تجاه الآخرين من خلال ما يراه، في سلوك الآخرين، من دلالة ومعنى وهدف **(إبراهيم، 2010: 96)**.

بمعنى أوسع إن **الفعل الإنساني** عند ڤيبر هو (فقط) ذلك السلوك أو النشاط، الذي يمكن أن ننسب إليه قصد أو معنى ذاتي لتبرير ما قام به الفاعل من نشاط. أما الفعل الاجتماعي هو

أحد أنواع الفعل الإنساني، حيث له خصوصية تميزه عن غيره من الأفعال، وهو يعتبر الأساس الذي تقوم عليه " **السوسيولوجية الڤيبرية** "، ويأخذ صفة الفعل الاجتماعي، إذا تعلق معناه المقصود من قبل فاعله أو فاعليه بسلوك الآخرين، الذين يوجهون حدوثه. إذاً **الفعل الاجتماعي** هو الذي يتوجه بسلوك الغير، ويرتبط بمعنى مشترك معه، فالمعنى الذي يفكر فيه الفرد ويقصده هو الذي يجعل الفعل الذي يقوم به اجتماعياً **(فياض، 2021: 339-340)**. والتفاعل الاجتماعي بما ينطوي عليه من علاقات ناشئة في إطاره، يقوم على أساس مجموعة من المعايير التي تحكم هذا التفاعل من خلال وجود نظام معين من التوقعات الاجتماعية في إطار الأدوار والمراكز المحددة داخل المجتمع. ونظراً لأن التفاعل الاجتماعي وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات فإنه بلا شك ينتج عنه مجموعة من **التوقعات الاجتماعية. مثال ذلك:** إن زيارة شخص ما لشخص آخر هو سلوك اجتماعي أما معنى هذه الزيارة فيمثل في كونها للتهنئة أو للعتاب أو لاقتراض المال أو للتملق.

وهكذا نجد أن السوسيولوجيا عند ڤيبر هي علم بخصوص الفعل الاجتماعي. وهو بنظرته تلك يرفض الحتمية التي يمتدحها ماركس ودوركايم اللذان يحبسان الإنسان ضمن نسيج من الضغوط الاجتماعية غير الواعية، ويعتقد ڤيبر أن هذه الضغوط وهذه الحتميات لا تعدو كونها نسبية. ليس المقصود قوانين مطلقة، إنما توجهات تترك على الدوام مكاناً للصدفة وللقرار الفردي.

وفي النهاية يمكننا القول إن **التأثير الإيجابي** لماكس ڤيبر **على السوسيولوجيا بشكل عام،** كان أقوى من أي مفكر سوسيولوجي آخر، ويرجع ذلك للأسباب التالية: **(فياض، 2021:337-338)**

1. إن أعماله قدمت لنا أمثلة واضحة ورائعة على الدراسة الدقيقة الجادة للمواقف الاجتماعية الملموسة والعمليات التي يجب أن تشكل أساس أية نظرية سوسيولوجية ملائمة.

2. إسهامه الواضح في التأكيد على الدور الذي تلعبه **القيم في الحياة الاجتماعية** في الوقت الذي ظل فيه علم الاجتماع الوضعي يؤكد على ضرورة أن تظل العلوم الاجتماعية متحررة من القيمة.
3. إنه أوضح كيف أننا نستطيع أن نحقق الكثير باستخدام **فكرة النموذج المثالي** في العلوم الاجتماعية.
4. كما أسهم بشكل كبير في فهم العليّة الاجتماعية وارتباطها بمشكلة المعنى في الموضوعات الإنسانية وخاصةً في **بحوثه الرامية إلى معرفة المعنى الكامن وراء التغير الاجتماعي (تيماشيف، 1978: 276)**.
5. وأخيراً نجد أن ڤيبر قد أقام نظرياته على أساس رؤيته عن الفعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية، إلا أنه بالمقابل انصب اهتمامه على المؤسسات والأبنية الاجتماعية الكبرى من خلال تحليله لأبنية السلطة القانونية والتقليدية والكاريزمية.

المبحث الثالث: منهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر

يرى **فيلهلم ديلتاي** (1833– 1911) إذا كنا نريد فهم ظاهرة ما أو جملة من الظواهر، **يجب علينا دراستها من الداخل**، أي البحث عن العلاقات الكامنة التي تربط بينها بشكل أو بآخر. غير أن هذه العملية غير ممكنة التحقيق في العالم الطبيعي؛ **لأن دراسة الحوادث أو الظواهر من الداخل يعني البحث عن كيفية نشأتها**. وهذا ضرب من المستحيل لأننا لا نخلق الظواهر الطبيعية. أما في الجانب الآخر **فتمثل الظواهر الاجتماعية** محصلة نشاط البشر، محصلة العقل والوعي الإنساني. ولهذا فبإمكاننا دراستها من الداخل وفهم معانيها. وينتج عن هذا أننا في مجال العلوم الاجتماعية، نستطيع، بل من الضروري أن نتجاوز البنى الحالية المعطاة **(عنصر، 1990: 111–112)**.

إن الهدف في **العلوم الاجتماعية أو الثقافية كما أسماها ديلتاي** هو محاولة معرفة كيف ولماذا تخلق مجموعات أو أفراد هذه البني؟ وبهذا الصدد، وما دامت القضية تتعلق بفهم هذه

الظواهر فإن أفضــل الطرق لتحقيق ذلك معايشــة تجارب الآخرين. وهذا يعني أن هناك اختلافاً أنطولوجياً **(ماذا نعرف، طبيعة موضــوع المعرفة)** بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، مما يستلزم اختلافاً ابستمولوجياً **(كيف نعرف، ومدى صحة ودقة معارفنا)** وبالتالي الوسائل العلمية للبحث والدراسة **(الخطوات، الإجراءات، والتقنيات) (عنصر، 1990: 112-113).**

بالمقابل، يعتقد ڤيبر أيضــاً بأن العلوم الاجتماعية تختلف عن العلوم الطبيعية اختلافاً شديداً، ففي الأخيرة تتجه الاهتمامات الإنســـانية نحو **الضـــبط**، بينما تتجه هذه الاهتمامات في العلوم الاجتماعية نحو **التقويم**. وبهذا المعنى يصــــبح مفهوم الثقافة ذاته مفهوماً قيمياً، كما تصـــــبح الوقائع الامبيريقية بالنسبة لنا ثقافة، لأننا نربطها دائماً بالقيم. **إذن فصدق القيم يعتبر من قبيل الإيمان والاعتقاد، وليس من قبيل المعرفة.** واســـتناداً إلى ذلك، ذهب ڤيبر إلى أنه يتعين على العلوم الاجتماعية أن تدرس القيم بشــرط ألا تفصــل عنها المعايير والمثاليات التي تشــتق منها الموجهات التي تضــبط السـلوك الواقعي. لكنه بالمقابل دعا إلى أن تكون العلوم الاجتماعية بما في ذلك علم الاجتماع والتاريخ متحررة من القيمة **(تيماشيف، 1978: 254-255).**

ومن المؤكد **أن فكرة تباين الأنساق القيمية واختلافها عبر الزمان والمكان،** كانت فكرة سائدة في الوقت كتب فيه ڤيبر أفكاره هذه. فلما كانت **العمليات الثقافية** تخضــع دائماً لتغير مســتمر، فمن الطبيعي أن يخضــع **موضـوع العلوم الثقافية بدوره للتغير**. ومع ذلك يتطلب بطبيعة الحال أن يكون العلم الاجتماعي علماً امبيريقياً يدرس الوقائع الملموسة **(تيماشيف، 1978: 255).**

وهكذا تبنى **ڤيبر مقاربة ديلتاي " الفهم الذاتي "** في دراســة الظواهر الاجتماعية، **لكن رفض الفصـــل بين المناهج ولو اختلفت طبيعة الموضـــوع المدروس، إذ لا يمكن الاســـتغناء عن التفسير السببي في دراسة الظواهر الاجتماعية** اعتماداً على أن الفعل الاجتماعي يقدم نموذجاً ذا معنى ترتبط فيه الوســائل والأهداف، ويســتند إلى جملة من الأســباب والدوافع **(عنصـــر، 1990: 113-114).**

ويتســـم هذا التوجه **المنهجي بالطابع الدلالي والتفهمي والتأويلي، والتركيز على الذات بدل الموضــوع.** أي دراســة الفرد في علاقته بأعضــاء الجماعة التي ينتســب إليها أو علاقاته مع المجتمع في كليته، بالتوقف عند مختلف الدلالات والمعاني والمقاصـــد والغايات والنوايا التي يعبر عنها هذا الفعل الإنساني والسلوكي، في علاقته بأفعال الآخرين، ضمن الكينونة المجتمعية نفســها. بذلك يندرج تصــور ڤيبر ضــمن النظرة التفاعلية إلى المجتمع، فالأفراد يؤثرون في المجتمع بأفعالهم الواعية والهادفة، والمجتمع بدوره يؤثر في الأفراد **(فياض، 2021: 341).**

هكذا تسـعى **المقاربة التفهيمية الڤيبرية** إلى **فهم الظاهرة الاجتماعية، باسـتخلاص دلالات أفعال الأفراد،** واستكشـاف **معانيها ومقاصـدها وغاياتها ونواياها.** وفي هذا السـياق نجد أن **فهم الفعل الإنسـاني** – حسـب ڤيبر – **ليس مسـعى سـيكولوجياً،** بل هو السـعي إلى فهم السـيرورة المنطقية التي تقود الفاعل الاجتماعي إلى اتخاذ قرار ما في ظرف خاص. إذ يتعين إعادة تشكيل المنطق العقلي للفاعل، كما ينبغي، أيضـاً، فهم الجانب العقل في سلوكه، تبعاً للأهداف التي يتوخاها والوســائط التي يتوســلها، من أجل التوصــل إلى فهم تفســيري للفعل **(فياض، 2021: 342).**

بمعنى، أن ڤيبر يعتمد **منهجاً تأويلياً** يســتند إلى الفهم **(دراســة المعنى الداخلي)**، والتأويل **(إدخال الذات والمرجع على مستوى القراءة)**، بغية تشكيل استراتيجية لتفسر الظواهر بمدلولها الاجتماعي والثقافي. ويعني هذا أن الفعل الاجتماعي أو الفعل الإنساني بكل تأكيد مرتبط بثقافة مجتمعية معينة، مما يتيح لنا فهم سـلوكيات الناس من خلال معرفة الأفعال والأشـياء المرتبطة بها وما تعنيه، وما هي الكيفية التي ينظر بها الناس إلى أفعالهم وأفعال الآخرين **(الســـوتاري، 2015: 89).** وبالتالي لا يمكن دراسة الثقافة أو الإنسان من خلال المنهج الوضعي، بل لا بد من الاعتماد على منهج الفهم في ذلك. أضـف إلى هذا أن الظاهرة الإنسـانية مرتبطة بمجموعة من الأسباب، وليس بسبب واحد. لذا يصـعب تطبيق المنهج الوضـعي على الظاهرة الاجتماعية التي يحضر فيها الإنسان باعتباره فاعلاً ومنفعلاً، وكائناً واعياً ومتغيراً.

لكن الســـؤال الذي يطرح نفســـه كيف يمكننا أن نحيط بالفعل الاجتماعي؟ إن الإحاطة بالفعل معناها الأول " **فهمه** " وفهم فعل الآخر يستلزم القدرة على التموضع في موضعه، والقدرة على اســتنتاج ما حصــل معه. والتموضــع الاجتماعي يقترن عموماً بضــرورة الاســتعلام عن التأهيل الاجتماعي للفاعل، وعن مقومات وضــعه في حالة الفعل، وعن تركيبة حقل الفعل الذي يتحرك فيه. زد على ذلك أنه لفهم فعل الآخر، يُفترض بالُمراقِب أن يعي الفوارق التي تميز وضعه الخاص عن وضع الفاعل الُمراقَب. ومهما تكن **المسألة الثقافية*** بين الُمراقِب والفاعل، فإنه بإمكان الأول مبدئياً أن يفهم الثاني وهذا معناه أن منطق الفعل الفردي يتضـــمن عناصـــر ثابتة بالنسبة إلى تنوع المساقات الثقافية (**الطبيعية البشرية**). ومعناه أيضاً أنه يمكن الشعور بـ " **فهم** " فعل الآخر، على الرغم من بُطلان تفسيرنا لفعله، عندئذ يكون فهمنا لحظة أساسية في التحليل الاجتماعي **(خليل، 1984: 177)**.

هكذا يرتبط ڤيبر **منهج الفهم** على مســتوى المعنى **بوســيلتين منهجيتين** هما: الفهم التأويلي الذي يهدف من خلال الوقوف على المعنى الواقعي في ســلوك الأفراد والجماعات. ثم يســتكمله بمحاولة فهم هذا الســـــلوك فهماً داخلياً بواســـــطة الوقوف على المعاني الذاتية المرتبطة بتلك الأفعال من خلال منهج التجربة التأويلية وأوضـــــح أن الأفكار والدوافع والمعاني دوراً مهماً في تكوين منهج الفهم التأويلي لديه. وقد أورد ڤيبر في هذا الصـــــدد أن **منهج الفهم التأويلي** يحقق أعلى مستوى في **فهم الظواهر الاجتماعية** على مستويين: الأول **الفهم السببي الملائم**، والثاني **هو الفهم الملائم ذو المعنى.**

ونســتنتج مما تقدم، بأن **منهج ڤيبر** يرتكز على **ثلاث مقومات أســاســية** هي **الفهم والتاريخ والثقافة** وذلك بالاعتماد على منهج الفهم في دراسة السلوك الاجتماعي، ورصد **أشكال الهيمنة والسلطة،** ويعني هذا أنه من مؤسسي نظرية الفهم والتأويل في علم الاجتماع. ويعني ذلك أيضاً أن منهجية ڤيبر تهدف إلى فهم معنى التفاعلات الســـــلوكية للأفراد داخل المجتمع. أي إن علم

* المسافة الفكرية المسافة الزمنية (تقارب الفكر الزمن، الثقافة والتاريخ: حيث إن الفعل هو حدث يقترن بزمن، بفكر، بثقافة، بتاريخ معرفي).

الاجتماع يدرس الفعل الاجتماعي الذي يقصد به مجموعة من الوسائل التي يستند إليها المجتمع للحفاظ على اتساقه وانسجامه، وخاصة الوسائل القانونية والتنظيمية أو الأعمال التي تدفع الأفراد والجماعات التي تعيش نوعاً من الهشاشة إلى العيش الكريم، والانصهار في وحدة المجتمع. وقد تبلور هذا المنهج القائم على دراسة التفاعلات القائمة بين الأفراد في كتابه " **الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية** " الذي نشره على شكل مقالين عامي (1904-1905)، حيث درس فيهما **أثر العوامل الدينية في ظهور العقلانية**، وكيف ساهم الإصلاح البروتستانتي في نشأة الاقتصاد الرأسمالي المادي. وذلك بالتركيز على العقلانية، باعتبارها مظهراً من مظاهر الحضارة الغربية، فقد جاءت مرافقة لنشوء الرأسمالية **(الاقتصاد العقلاني)** والبيروقراطية **(الإدارة العقلانية) (فياض، 2021: 343)**. ومن هنا يعتبر المذهب البروتستانتي – حسب ڤيبر – فعلاً إيجابياً، لأنه المحرك الحقيقي للعقلانية والحداثة والاقتصاد الرأسمالي، فقد أهلته هذه الخصائص لقيادة حداثة كونية وتقديم نظرة عقلانية لرؤية العالم، وهذا ما جعل ڤيبر من مؤسسي علم الاجتماع الديني كشف فيه عن نسق القيم الدينية في سياقها الاجتماعي وآثارها على المستوى الاقتصادي، وقد اعتبرت نظريته في البيروقراطية من أهم الإسهامات الكلاسيكية في المعرفة **(مجموعة المؤلفين، 2011: 6)**.

وفي النهاية، يذهب ڤيبر إلى أن **دراسة معاني الفعل الاجتماعي** تتطلب وجود أداة منهجية أطلق عليها **النموذج المثالي أو الخالص** ظهر في كتابه: **الاقتصاد والمجتمع** " حيث قدم أمثلة عديدة تشهد على إمكانية تطبيق النموذج المثالي " **(غنيم وآخرون، 2008: 32)**، وما لبث أن أصبح اصطلاح " **النموذج المثالي** " مرتبطاً باسم ڤيبر **(سكوت، 2009: 295)**، وهو في حقيقة الأمر بناء عقلي يتشكل من خلال ظهور أو وضوح سمة أو أكثر أو وجهات نظر يمكن ملاحظتها في الواقع **(تيماشيف، 1978: 266)**. **أي إن ركائز المقاربة التفهيمية الڤيبرية تتكون من النموذج المثالي، ونسق المعاني من خلال فهم الفعل الاجتماعي وتأويله.**

في حقيقة الأمر يمثل **النموذج المثالي** عند ڤيبر **النتيجة المنطقية لتآلف اتجاهات متعددة في التفكير الڤيبري**، فهو **يســـاعد على التفهم**، حيث يعتبر كل نموذج مثالي تنظيماً لمجموعة من العلاقات الأساسية في سلسلة من الوقائع. وفضـلاً عن ذلك نجد أن النموذج المثالي على علاقة بكل من المجتمع والعلم من خلال عملية الترشيد. ومن ثم يعتبر تأسيس النموذج المثالي تعبيراً عن كل المحاولات المتميزة لكل النظم العقلية، والتي تهدف من وراء تأسيسه إلى توضيح موضـوع بحثها عن طريق الكشف عن عقلانيته الداخلية وتأسيسها **(فياض، 2021: 347).** لكن ما هو **النموذج المثالي** عند ڤيبر؟ وما **علاقته بمنهجية الفهم والتأويل** عند ڤيبر؟ هذا ما سوف نحاول توضيحه في العنصر التالي.

المبحث الرابع: مفهوم النموذج المثالي وعلاقته بمنهجية الفهم والتأويل عند ڤيبر

إذا كانت **العلوم الطبيعية أفقية الطابع** من حيث نجاحها في **التعميم** بفضـــل **القوانين السـببية، فإن العلوم الاجتماعية عمودية الطابع** من حيث إمكان نجاحها في **التعميق** بفضـل **الإمكانية الموضـوعية (عبد النور، 2017).** على اعتبار أن **الإمكانية الموضوعية في العلوم الاجتماعية** هي أداة تساعد الباحث على تشكيل صـورة ذهنية للمواقف وذلك عن طريق عزل بعض المتغيرات لمعرفة مدى تأثرها في تشـــكيل العنصـــر الكلي، فإذا تأثر بعزل متغير فإن العلاقة السببية ملائمة، وإذا لم يتأثر فإن العلاقة السببية مصادفة، إلا أن ڤيبر رفض مصطلح السـببية الضـرورية **(عبد النور، 2017).** فبعد تحديد مفهوم الإمكانية الموضـوعية، نجد أن علاقة منهج الفهم بمنهج التجريب علاقة كل بجزء إذ لا يمكن إدراك الكل إلا بفهم الجزئيات المشكلة للرابط الكلي. **فعلى سبيل المثال:** لكي يستطيع الباحث رصد معنى قانون في مجتمع ما لا بد له من التطرق إلى جزئيات وبنود القانون، وذلك بتصـــوره واحتماله لمجموعة من الجزئيات ثم ترجيح التي تشـــكل الكل، ثم حينها يلتجأ في مرحلة ثانية إلى اســـتخدام الأدوات التقنية التي تختبر مدى صـــحة احتماله، إن كان قد أغفل إمكانية حضـور جزئية في تشـكيل الرابط الكلي فبهذا يكون: الذاتي أشـــمل من التقني وموظف له لا غير، بهذا يتحقق المعنى

الفعلي والحقيقي لمفهوم الإمكانية الموضـوعية **(عبد النور، 2017)**. بناءً على ما سـبق **يعتقد ڤيبر أن نشـــوء الرأســـمالية (الواقع) لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى نمطها المثالي القيم البروتستانتية.**

يذهب ڤيبر إلى أن **النموذج المثالي *The Ideal Typical*** " عبارة عن وصـــف منطقي متسـق من وجهة نظر محددة. بحيث يؤدي ذلك إلى توضـيح علاقات الوسـائل بغايات الفعل حتى يساعد ذلك الباحث على تجميع الأفكار أو الارتباطات والتفسيرات المتناثرة في إطار قابل للفهم ". " بمعنى آخر، هو عبارة عن بناء أو تشـيد عقلي يتشـكل من خلال ظهور أو وضــوح ســـمة أو أكثر، أو وجهات نظر يمكن ملاحظتها في الواقع، والذي لا يوجد له نظير في الواقع التجريبي **(تيماشـيف، 1978: 266)**. هذا النمط المثالي لأي ظاهرة اجتماعية يكون مصـمماً ليساعد في فهم الواقع التجريبي لتلك الظاهرة أو عدة ظواهر وهكذا يمكن استخدام النمط المثالي كأداة من أجل المقارنة بين ظاهرتين أو أكثر أو لقياس مدى تقارب الظاهرة المعطاة من النمط المثالي، فالنموذج أو النمط المثالي عبارة عن **المجموع الكلي للمفاهيم التي ينشـئها أو يبينها المتخصــص في العلوم الإنســانية بصــورة نقية وبعيدة عن أي تحيز لتحقيق أهداف البحث (فياض، 2021: 347- 348)**.

يتمحور **هدف النموذج المثالي** في تكوين نموذج للظاهرة الاجتماعية أو منظور هادف لها. وبعد ذلك اســتعمل المفهوم من قبل منظري المنظمات الاجتماعية للإشـــارة إلى الدراســـات التجريبية المتعلقة بالبيروقراطية على سبيل المثال. ولا يحيلنا تعبير المثالي على الجودة والإتقان والحكم الإيجابي، بل هو دليل لبناء الفرضـــيات، ونموذج لفهم الظواهر المدركة في الواقع، أو تعبير عن الفكر المنظم.

والنموذج المثالي، هو نتاج لعملية تركيبية لمجموعة من الســمات والمواصـــفات لظاهرة مجتمعية ما، تكون مجردة وعامة، وتصـــنيفها ضـــمن نموذج فكري وعقلي ومنطقي متســق.

وللتمثيل، حينما ندرس البيروقراطية، فإننا ندرسها في مجالات متعددة، وفي أمكنة مختلفة، لكننا نتحدث عنها بطريقة مثالية عامة، بالتركيز على خصائصها ومميزاتها المجردة والمشتركة في عمومها، لقولبتها ضمن نموذج مفهومي ووصفي ما. أضف إلى ذلك أن النموذج المثالي هو نتيجة لمجموعة من المقارنات والعمليات الوصفية لظاهرة مجتمعية ما **(فياض، 2021: 348)**.

وبالتالي، **فالمثالي لا علاقة له بالقيمة**، بل يرتبط بمنظومة من الخصائص والأوصاف والسمات المشتركة الناتجة عن ملاحظة ظاهرة ما. وبتعبير آخر، يعني النموذج المثالي تجريد أو تحويل الظاهرة المجتمعية المدركة والملاحظة إلى نموذج ذهني مجرد في شكل خصائص ومكونات وسمات مشتركة مجردة وعامة. أي الانتقال من المحسوس إلى المجرد المثالي. فحينما يرصد الملاحظ ظاهرة مدركة ما، ومعزولة، فإنه يختزلها في مجموعة من المكونات والخصائص والسمات العامة والمجردة لبناء نموذجها المثالي والمفهومي.

بذلك يتكون **النموذج المثالي** من العناصر الرئيسية التالية **(فياض، 2021: 349)**:

1. إنه نظرة جانبية أو جزئية تتم بالنظر إلى الإطار النظري للباحث، وذلك من شأنه أن يترك هامشاً لتأثير التوجيه القيمي للباحث في تحديد العناصر الأساسية للنموذج.
2. إنه يعبّر عن نظرية أحادية يجرد الباحث من خلالها – انتقائياً – العناصر الرئيسية من الظاهرة الواقعية.
3. إن هذه العناصر التي يرى الباحث أنها تشكل العناصر المحورية للواقعة أو الظاهرة موضع الدراسة يتم تأسيسها، بالإضافة إلى بناء العلاقات المنطقية بينهما في إطار نظري له اتساقه المنطقي وقدرته على المساعدة في الفهم والتوضيح. ويجدر الإشارة إلى أن التحديد الإيجابي للنموذج في كونه بناء من العناصر التي جردت عن الواقع والتي وضعت مع بعضها البعض، لكي تشكل نموذجاً تصورياً موحداً.

إذن، فالأنماط السلوكية، كالسلوك العقلي، والسلوك اللا عقلي، والسلوك القيمي العقلي، والسلوك العاطفي، بمثابة نماذج أو أفكار عقلية مثالية: هي مثالية بمعنى أنها ليست صادرة من الحياة الاجتماعية الواقعية، لا بمعنى أنها صادرة من ماهيات مجردة كـ " **مثل** " أفلاطون على سبيل المثال. إنها نماذج مثالية لكونها مشتقة أساساً من الحقيقة التاريخية، تلك الحقيقة المعقدة جداً، والتي تعتبر هذه التصنيفات السلوكية مجرد تبسيط لها. ومن هنا يدرس علم الاجتماع عند ڤيبر تلك الأنماط الاجتماعية المثالية التي تحدد طبيعة تصورات الإنسان وإدراكاته ومواقفه السلوكية في المجتمع. وإذا كانت هذه الأنماط كامنة حقاً في بنيات المجتمع، فهي مع ذلك، بمثابة أنماط قياسية تحدد السلوك، وتوجه العقل **(فياض، 2021: 349– 350)**.

وعلى رأس هذه الأنماط المحددة للسلوك الموجهة للفعل، توجد القيم الأخلاقية والدينية، ثم العرف والعادات والقانون، بالإضافة إلى أنماط أخرى ذات طبيعة سيكولوجية كالحب والكراهية والحقد... ومهما كان الأمر، وسواء كان العنصر الموجه للسلوك هو هذا النمط أو ذاك، فإن الفعل الاجتماعي الحقيقي عند ڤيبر هو السلوك الهادف المرتبط بغاية معينة. أما السلوك الذي لا هدف له، فهو سلوك لا عقلي، سلوك آلي لا قيمة له من الناحية التاريخية.

بذلك فإن النموذج المثالي أداة تصورية وإجرائية أساسية، أو هو بمثابة منهج، أو مقياس، أو نموذج تركيبي، يُستخدم لوصف الوقائع المجتمعية وتقييمها. بعبارة أخرى هو وسيلة موجهة نحو توضيح معنى الموضوع قيد الدراسة، أي إجراء منهجي خالص يطوره الباحث إرادياً وفقاً لحاجات البحث، ويمكن أن يتخلى عنه إذا لم يؤد وظيفته أو يشبع توقعاته **(فياض، 2021: 350)**.

ويرى **أنتوني جيدنز** أن " النماذج المثالية هي **نماذج مفهومية وتحليلية** يمكن استخدامها لفهم العالم. وقلما توجد هذه النماذج في العالم الواقعي. وربما لا توجد على الإطلاق. وفي أغلب الحالات تتضح جوانب أو ملامح قليلة منها في الواقع. غير أن هذه النماذج الافتراضية قد تكون مفيدة جداً، عندما نحاول فهم الأوضاع الفعلية في العالم بمقارنتها بواحد من هذه الأنماط المثالية. وفي هذا السياق تكون النماذج المثالية بمثابة نقطة مرجعية ثابتة. وتجدر الإشارة هنا

إلى أن النموذج المثالي لم يكن يعني بالنسبة إلى ڤيبر أن هذا التصور قد وصل حدود الكمال أو حقق الهدف المنشود. وما كان يعنيه ڤيبر أن النموذج يمثل صورة صافية لظاهرة ما، وقد استخدم ڤيبر هذه النماذج المثالية في تحليله لأشكال البيروقراطية والسوق " **(جيدنز، 2005: 71)**. وللتوضيح بشكل أبسط، فشخصية " **البخيل**" في **مسرحية موليير*** شخصية كاريكاتورية، مع أن احتمال أن نلتقيها في الواقع الاجتماعي، لكنها تمثل النمط الأصيل للبخل. هذه الشخصية نموذج مثالي للبخلاء. فالنموذج المثالي هو تشييد فكري لا يعكس الواقع التجريبي المرصود، بل يسمح بتحليل مكوناته وخصائصه. وعليه يتم تحصيل النموذج المثالي عند ڤيبر عبر الربط بين عدد من الظواهر، بتصنيفها وتنظيمها، وترتيبها، ضمن نموذج فكري منسجم ومتسق.

خلاصة القول إن **النموذج المثالي** عند ڤيبر هو الصورة النقية للظاهرة يقوم ببلورتها علماء الاجتماع عن طريق الانغماس في تحليل المادة التاريخية. وعلى هذا تُفهم الأنماط المثالية بوصفها أدوات إرشادية (تعين على الفهم). الهدف منها تزويدنا بقوالب البحث السوسيولوجي، وهي عبارة عن نماذج مبالغ فيها بقصد تضخيم جانب معين من الظواهر الاجتماعية محل الدراسة. **ورأى ڤيبر أن تلك النماذج المثالية يمكن مقارنتها بالظواهر الموجودة فعلاً في المجتمع للكشف عن بعدها أو اختلافها عن ذلك النمط. عندئذ يستطيع علماء الاجتماع دراسة الأسباب التي يمكن أن تكون مسؤولة عن هذا الاختلاف.**

بذلك سعى ڤيبر إلى **توظيف النموذج المثالي كأداة منهجية لفهم العلاقة الارتباطية بين الروح البروتستانتية والرأسمالية الحديثة**، وتشير الدراسات والأبحاث في هذا السياق إلى أن الأنماط المثالية لدى ڤيبر، وإلى استخدامها باعتبارها تنظيمات دقيقة لها علاقات تاريخية متداخلة بالأحداث التي تحيط بها **(أبو شنب، 2008: 263)**.

* **جون بابتيست بوكلان** (بالفرنسية: ***Jean-Baptiste Poquelin***) المُلقب **موليير** (***Molière***) (باريس 15 يناير 1622 – 17 فبراير 1673)، مؤلف كوميدي مسرحي، وشاعر فرنسي، ويعد أحد أهم أساتذة الهزليات في تاريخ الفن المسرحي الأوروبي ومؤسس " **الكوميديا الراقية** ".

ونظر ڤيبر إلى بنائها باعتباره محاولة للتعبير عن كل النظم العلمية التي تتقدم بطريقة عقلانية. وانتهت الدراسات إلى أن الصعوبات التي واجهت تكوين الأنماط المثالية لدى ڤيبر يرجع إلى استخدامه لها كتصورات تعميمية لجميع **العلوم الثقافية**. هذا بالإضافة إلى استخدامه الخاص لها والذي يمكن تحديده بثلاثة أنواع على النحو التالي:

1. **الأنماط المثالية التي تتميز بالعناصر المجردة للواقع التاريخي وتشمل أنماط:** البيروقراطية، والإقطاع، وأنماط السيطرة الثلاث (**التقليدية، الكاريزمية، القانونية**)، ثم أنماط الفعل أو السلوك (**التقليدي، العاطفي، العقلاني بالنظر إلى القيمة، العقلاني بالنظر إلى الهدف**).
2. **الأنماط المثالية التي تشتمل على البناءات العقلية الجديدة بصفة خاصة**، كما هو في أنماط السلوك الاقتصادي.
3. **الأنماط المثالية ذات الخصوصيات التاريخية مثل:** الرأسمالية في المدينة الغربية، بحيث يركز ڤيبر في هذا النوع من الأنماط على إمكانية إعادة بناء جزئيات هذه التصورات من خلال أنواع معينة من السمات التاريخية (**أبو شنب، 2008: 263**).

وفي إطار النمط الأخير قدم ڤيبر تحليلاً سوسيولوجياً لاستخدام النمط المثالي للرأسمالية في المدينة الغربية كأداة منهجية لتحقيق منهجه في الفهم التأويلي فيما يخص فهم العلاقة بين روح البروتستانتية والرأسمالية الحديثة في المجتمعات الغربية، حيث كانت تحليلاته تظهر أهمية النموذج المثالي كتصورات مجردة تماماً، وتوضح علاقة الديانة البروتستانتية بالرأسمالية. وذلك على اعتبار ألا يتشكل من فروض، ولكنه مجرد تصورات لمفهومات مجردة تساعد في الوصف والتفسير عن اللجوء إلى التحليل الامبيريقي في دراسة أي ظاهرة أو مشكلة اجتماعية (**أبو شنب، 2008: 263-264**).

فالرأسمالية – كما يذهب ڤيبر – هي نسق من المشروعات الهادفة إلى الربح، والتي ترتبط فيما بينها في شكل علاقات سوقية. والرأسمالية بهذا المعنى نمت وتطورت عبر

التاريخ في أماكن كثيرة وأزمان مختلفة. **ولكن الرأســمالية الحديثة تختلف عن أشــكال الرأسمالية القديمة بما تتميز به من طابع عقلاني وتنظيم رشيد للعمل الحر**. فكيف إذن ظهر هذا الشــكل الحديثة من الرأســمالية؟ يؤكد ڤيبر أن مشــكلة الظهور الأولى للظاهرة تتميز عن النمو اللاحق لها، طالما أن النســق الاجتماعي العام قادر على تأكيد ذاته. ثم يذهب بعد ذلك إلى ظهور الرأسمالية الحديثة قد خضع للتأثير الذي أحدثه ظهور **الأخلاق البروتســتانتية وخاصــة الكالفينية**. ويخلص ڤيبر إلى فرض مؤداه: أن المناطق الألمانية المعاصــرة التي تسـود فيها البروتسـتانتية أكثر ثراء من تلك التي تنتشـر فيها الكاثوليكية **(تيماشـــيف، 1978: 257)**، حيث لعبت **المتغيرات الثقافية** المرتبطة بممارســـات الأخلاق البروتستانتية دوراً هاماً في ترسيخ تصور لدى كل فرد في المجتمع الألماني أن **الرأسمالية مشروع يتضمن الترشيد والضبط لمصادر رأسمال الواسعة والإنتاج الوفير**.

لكن الســؤال الذي يطرح نفســـه علينا: **لماذا ظهرت الرأســمالية البرجوازية العقلانية كظاهرة مســيطرة فقط في الغرب الحديث؟ وما هي العوامل التي تؤدي إلى فشــلها في الظهور في ثقافات أخرى؟**

يؤمن ڤيبر إلى أن **كل ثقافة** توجد فيها **الأخلاق الاقتصادية النابعة من الديانة التقليدية** الســائدة تعني مباشــرة تحقيق التطور نحو أشـكال الرأسـمالية البرجوازية العقلية، ويرى أن سـبب فشـل الرأسـمالية البرجوازية العقلانية في أوقات المبكرة، **في الهند والصـين** بسـبب عدم وجود الأخلاق الاقتصــادية النابعة من **الديانة (البروتســتانتية) (بارسـونز، 1945: 512-513)**. وهذا يعني أيضــاً أن الرأسـمالية لم تُعرف في الغرب وأنها لم تكن اكتشـافاً غربياً محضــاً وهي ليسـت مجرد (التعطش للربح) أو البحث عن الفائدة، بل هي **الســيادة عن طريق التنظير العقلي لهذه الدوافع اللا عقلية إنها البحث عن الفائدة المتجددة باستمرار في مؤسسة دائمة قائمة على التنظير العقلي**، لقد وجدت الرأسمالية في الشرق القديم بصورة بدائية خاصـة في التجارة، لكنها وجدت في الغرب على حسب ما يقول ڤيبر

في صـــورة مؤســـســـات، ونظم حيث عرف العالم الغربي التنظيم الرأســمالي للعمل الحر ووضــع قواعد المحاسـبة العقلانية، وتقسـيم العمل " (**الكلاخي، 2012**)، أي إنه قام بذلك بناءً على العقلانية والترشـيد. ويبرر ڤيبر هذا التطور المتميز من خلال نموذج (**التقشـف الكالفني**) الذي كان له الأثر الأهم في تنامي البروتستانتية، والتوجه مباشرةً نحو النهل من الواقع، من خلال الإشــــارة المباشــــرة إلى الأحوال الاقتصـــــادية الجيدة التي يعيشـــــها **البروتسـتانت في ألمانيا** مقارنة بمواطنيهم **الألمان الكاثوليك**. اسـتناداً إلى تحليل عناصـر البروتسـتانتية القائمة على: (العقلانية، التقشـف، الفردية) والترشـيد المسـتند إلى (الواقعية، الإنتاج، العمل) وعبر هذه العلاقة القائمة بين الطرفين (البروتسـتانتية والترشـيد) أفسـحت المجال للرأسـمالية أن تنمو وتنضـج وتؤتي ثمارها، عبر بروز دور المؤسـسـة البيروقراطية والتي قامت على التطلع نحو السيطرة على الواقع من خلال المعرفة إنها **المعرفة الرشيدة القائمة على ثنائية الســـيطرة على الموارد، والقدرة على التخطيط المســـتقبلي للموارد.** وهكذا كان الربط بين الرأســـمالية وطريقة التعاطي مع الإنتاج، عبر تنامي دور الرقابة الإدارية، من خلال بروز المؤسـسـة البيروقراطية، والتي افسـحت المجال للطبقة الوسـطى، لأداء دورها في مجمل الفعاليات التي ترافقت مع النمو الرأســـمالي، لا ســـيما في بدايات القرن العشرين بالإضـافة إلى التوسـع الذي شـهده قطاع المؤسـسات المالية، لا سيما على صــــعيد تمويل المشـــــاريع وزيادة أهمية البنوك في الإقراض والتأمين (**الربيعي، 2015: 342-343**).

ربط ڤيبر بين القيم التي تقوم عليها **العقيدة البروتســـتانتية** القائمة على (**العمل، تنظيم الوقت، الزهد**)، حيث الالتزام الذي يطبع مجمل توجهات المؤمن بها، سعياً لبلوغ الخلاص ومرضاة الله. فيما **تقوم روح المشروع الرأسمالي على الإعلاء من شأن الربح**، من خلال (**العمـل، تنظيم الوقـت، الانضـــبـاط**). الربط هنـا يقوم على جملـة من التقاطعـات بين النموذجين، بين نموذج زاهد عقيدي ديني، وآخر ربحي تجاري يقوم على التعاطي المباشر

مع الماديات. إلا أن الصلة الفكرية التي ميزها ڤيبر إنما تقوم على أن الرأسمالية لم تكن نتاجاً للبروتستانتية، بقدر ما مثلت هذه الأخيرة **مهاداً روحياً وقيمياً وثقافياً** لنموها وتطور علاقاتها في الغرب تحديداً. لا سيما على صعيد التلاقي الحاسم بين **(الزهد والانضباط)**. وهو ما يمثل جوهر فكرة الترشيد، التي مثلت الأصل الفكري لمجمل التحليلات المعرفية لأعمال ڤيبر. إنها أحوال التسلل للقيم بين النموذجين عن غير قصد، بقدر ما كانت الصلة تقوم على تمييز مفاصل **(الأفعال والمعتقدات)** وقدرة البروتستانتية في تشكيل روح المشروع الرأسمالي. عبر بوابة الترشيد الساعية نحو بناء النموذج الخالي من المظهريات، **وتوجيه أرباح العمل نحو التراكم وتنظيم الحياة**، والإفادة القصوى من مكتسبات الأرباح حيث التوجه نحو الإنتاج من خلال بناء نموذج المؤسسة المستندة إلى العقلانية في إدارة المشروع الرأسمالي **(الربيعي، 2015: 343)**.

بناءً على ما سبق يكمن لنا أن نتفق مع **بارسونز** في تأكيده **العلاقة الوظيفية السيكولوجية بين البروتستانتية والرأسمالية الحديثة لدى ڤيبر، وأن الظواهر المادية هي التي تخضع لتأثير القوى الدينية وليس العكس**، وهذا يعني أن مكامن الاختلاف الرئيسية بين الرأسمالية التقليدية والحديثة **يمكن في مستوى القيم**. فالأنشطة التي تنبع من **توجيه قيمي ديني** قد يؤثر بصورة أقوى في نفوس من يقومون بها، ويحدث نوعاً من الرضا الذي يؤدي إلى تحقيق الإنجاز والتنمية المنشودة **(بيومي، 1985: 478)**.

إن **الأخلاق البروتستانتية (الكالفينية)** بخاصة كانت أحد أهم العناصر التي أسهمت إسهاماً كبيراً في تطور الروح الرأسمالية الحديثة، إذ إن تلك الأخلاق قد **أنتجت قيماً ومعايير شجعت العمل الحر والتنسُّك والادخار وإتقان العمل الذي يعتبر بمثابة التقرب من الله**، خلقت مناخاً ذهنياً خاصاً، ساعد بدوره على تطور المشروع الاقتصادي الحر، وبالتالي على نمو وتطور الرأسمالية في الغرب **(الحيدري، 1990: 159)**.

وهكذا نجد أن البروتستانتية حسب ڤيبر في **شقها الكالفيني** بخاصة هي **مجموعة من الحوافز التي تدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج، وتحصيل الثروة والإسهام في زيادة ازدهار الحياة الاقتصادية**، بل إنها تمنح المهنة قيمة أخلاقية كبرى وتُقدّس العمل إلى درجة أنها ترى في تأدية العمل بأمانة وحيوية وحماسة واجباً مقدساً **(زكريا، 2011: 140)**، " **فالعمل الدؤوب في مهنة ما أمر مطلوب بشكل واضح باعتباره الوسيلة الفضلى وذلك بغرض بلوغ هذه الثقة بالنفس** " **(ڤيبر، ب.ت. 75)**، ومبدأ العادة ليس معناه حب المال، أو حب الكسب، أو حب الحياة الثرية بل هو صيغة مبدئية أخلاقية لطرائق العيش المُثلى. وهذا المبدأ الكالفيني لا يرى في العمل وسيلة للكسب من أجل العيش، بل إن العمل ذاته هو فلسفة الحياة ومعناها، أو أنه هو الذي يسوغ نفسه **(السيد، 1997: 341)**.

ويرى ڤيبر أثناء دراسته للبروتستانتية أن الكالفينية بصورة خاصة تشدد على **الطابع الفردي للخلاص**، وانتهى من ذلك كله إلى أن الروح التي تميل إلى الحصول على الكسب المادي بطريقة رشيدة منظمة هي روح الرأسمالية على اعتبار أن ذلك هو ثمرة غير مقصودة من ثمار البروتستانتية (الكالفينية) **(زكريا، 2011: 140)**.

بل إن التعاليم الدينية الكالفينية تحض المرء على أن يتحكم في نزاوته وشهواته، وأن يضبط ميوله وغرائزه، وتحثه على الزهد والتقشف في هذه الحياة الدينا. لكن ليس الزهد والتقشف السلبيين، بمعنى اعتزال العالم، والفرار من الحياة، والاعتكاف في صومعة والتفرغ لعبادة الله كما يفعل التنابل الكسالى الخاملون، وإنما التنسك في هذا العالم والخوض في معترك الحياة، والعمل الدؤوب وبمثابرة، والنجاح في الحياة المعنية، وتحصيل الثروة ومتراكمة المال، وكل ذلك استجابة لنداء رباني داخلي يشعر المرء تجاهه بنوع من **الواجب الأخلاقي (زكريا، 2011: 151)**.

إن فكرة ڤيبر عن **العقلانية المتضمنة في الأخلاق البروتستانتية (عملياتها، وأسباب ظهورها، ونتائجها)** ليست مجرد ظاهرة تاريخية. **ولكنها تعد شكلاً من أشكال المعرفة يظهر في إطار ثقافة المجتمع ككل.** ثم انتقل بها إلى مستوى المعنى في إطار علاقتها بالمعتقدات الدينية. واعتبر أن تلك **العقلانية نمط ثقافي** مميز يؤثر في العلاقات والقوى المجتمعية الأخرى. ولذلك كانت تحليلاته للعلاقات الاجتماعية تهتم بربطها في سلسلة من الروابط العقلانية من كافة الجوانب. حتى أصبح هذا **النمط الثقافي للعقلانية** عنصراً موجهاً مباشراً في تقدم المجتمعات الغربية **(أبو شنب، 2008: 269)**. أي إن الحساب العقلاني، في تصور ڤيبر، هو العنصر الأساسي في المشروع الرأسمالي الحديث، وعقلنة الحياة الاجتماعية بصورة عامة هي أهم صفة مميزة للثقافة الغربية الحديثة **(جيدنز، ب.ت: 543)**.

بذلك أقام ڤيبر **نماذجه المثالية** كأطر تصورية مجردة، واستخدمها كأدوات منهجية لتحقيق الفهم السوسيولوجي في دراسة وفهم وتأويل أنماط **الفعل والعلاقات والظواهر السوسيو- ثقافية** في إطار ثقافات معينة. وأن هذه الأطر التصورية لم تبدأ من فراغ، ولكنها بدأت من **الواقع** بهدف استخدامها لدراسة وفهم الواقع الاجتماعي والثقافي **(أبو شنب، 2008: 269)**. بمعنى آخر اعتمد ڤيبر في منهجه **التفهمي والتأويلي** على أدوات منهجية تصورية مجردة. واستطاع من خلالها **أن يثبت العلاقة الارتباطية القائمة بين الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية.**

بناءً على ما سبق، إن المنهج الذي اعتمده ڤيبر لا يستمد النظرية الاجتماعية معتمداً فقط على العلاقات الاجتماعية بين الوسائل والغايات، وإنما يربطها باستمرار بنسق اجتماعي معين، وبالظروف التي يتم في ضوئها تحقيق الغايات، ومن ثم، يؤكد ڤيبر باستمرار أن كل المفاهيم التي يقدمها لا تكفي في حد ذاتها، وإنما لا بد أن يستخدمها

علماء الاجتماع في تجسـيد النماذج المثالية لتفسـير مشـكلات اجتماعية ملموسـة، بل الأكثر من ذلك أن هذه النماذج بدورها ليست غاية مطلقة ولكنها وسيلة للتفسير والتحليل المنطقي **(فياض، 12.11.2023)**.

وبذلك يكون ڤيبر اعتمد منهجاً مغايراً لما كان سـائداً في الدراسـات الاجتماعية. وسـمة هذا المنهج الأساسية هي اعتماد النسقية المركبة واكتشاف القوانين التي تساعد في دراسة العلاقات التي تربط بين مجالات الظاهرة المختلفة بشـكل يحفظ للإنسـانية طابعها التركيبي. وهو بذلك تجاوز النظر التجزيئي الذي لا يمكن أن يفسـر الظاهرة الإنسـانية. فالأساس إذن، في بناء النموذج المثالي حسب ما يرى ڤيبر هو التشديد على فكرة ما، أو عدة أفكار، أو على وجهة نظر ما، أو عدة وجهات نظر واسـتخراج طائفة من الحوادث المعزولة، الغامضـة والخفية، التي يكثر العثور عليها أحياناً أو يتضـاءل وربطها بوجهات النظر المختارة من أجل أن ننشئ منها لوحة متجانسة **(فياض، 12.11.2023)**.

خلاصـة القول، إن **النموذج المثالي** يمثل مفهوماً مركزياً في الفكر **الڤيبري** وقد يأتي وصف المثالي في سياق هذه المنهجية **مضللاً**، فليس القصد بالمثالي هنا المتكامل الخالي من العيوب، بقدر ما هو تعبير عن وضـع أو حالة يتم من خلالها تمييز نظام اجتماعي، قد يكون المثال هنا بمثابة الوسيلة المنهجية التي تضطلع بمهمة تمييز سمات هذا النظام، وتوفير **وسـيلة تطبيقية للباحثين من أجل فرز المكونات وحصـر مجال البحث والتدقيق، مع المرونة التي يتم اسـباغها على البحث**، مع القابلية للتعديل. إنها المحاولة المعرفية المتطلعة نحو فهم الواقع من خلال التوجيه نحو كل ما يتعلق بالأفراد من أفعال وعلاقات.

– **تقييم ماكس فيبر:** في هذا السياق سنحاول إلقاء الضوء على نقاط قوته وأوجه القصور في فكره السوسيولوجي، وهي كالآتي:

– **نقاط القوة:**

1– تدلنا أعمال ڤيبر على أن التحليل البنائي لا يستطيع وحده أن يقودنا إلى فهم المجتمع على النحو الأمثل. لذا حاول أن يجسر الهوة بين الدراسة الاجتماعية للوحدات الصغرى والدراسة الاجتماعية للوحدات الكبرى، فقد تمكن ڤيبر من تقديم نظرية سوسيولوجية متكاملة تربط قيمة التحليل العلّي بأهمية الدوافع الفردية للسلوك.

2– لا شك أن اتساع نطاق اهتماماته العلمية أمر مثير للإعجاب. فقد حرص على أن يطبق أفكاره في دراسة عدد من مجالات الحياة الاجتماعية، واستطاع أن يحرز نجاحاً ملحوظاً في ذلك. وقد كانت بحوثه تلك مصدر إلهام لكثير من الدراسات السوسيولوجية فيما بعد من نواحٍ مختلفة.

3– يعتبر ڤيبر مؤسس وواضع اللبنات الأولية لعلم الاجتماع التأويلي الذي حقّق نتائج مذهلة في فهم طبيعة العلاقات الإنسانية وتفاعلاتها وتأويل معاني الأفعال الاجتماعية ومقاصدها على صعيد الوحدات الاجتماعية الصغرى.

– **أوجه القصور:**

1– رغم تأكيد ڤيبر على أن اهتمامه الأساسي كان منصباً على الاهتمام بالمعنى، إلا أن أغلب أعماله قد ركزت – في الواقع – على دراسة الأبنية الاجتماعية الكبرى. ولذلك كان هذا التجاوز بين كل من القصد والبناء مثيراً للبس في أحسن الأحوال، وعصياً على الفهم في أسوأ الأحوال، ذلك أنه كان يميل إلى تفسير الواقع الاجتماعي في ضوء الدافعية الفردية مما يُميع الحدود التي تفضل بين علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي.

2– لا شك أن تأرجح ڤيبر بين الاتجاهات الكبرى في التحليل (**الماكرو**) والاتجاهات الصغرى (**المايكرو**) قد جعلت أعماله محلاً للنقد من جانب الفريقين. إذ يدين البنيويون مفهومه عن الفهم

التأويلي بسـبب افتقاره – في رأيهم – إلى المصـداقية الامبيريقية، كما يعيب أصـحاب علم الاجتماع التأويلي على بعض الجوانب البنائية لبحوثه إغفالها لدور الأفراد في التأثير على بيئتهم.

3– جاءت تحليلات ڤيبر حول النماذج المثالية، ومقولة الفهم ممتزجة بالكثير من الغموض وصعوبة تفسيرها من الناحية العلمية، وهذا ما ظهر في تحليله للمعنى الذاتي للفعل والسلوك الجمعي. وفي هذا الصـدد يذهب **هوراس مينر** إلى أن النموذج المثالي بناء عقلي خالص لا يتطابق مع الواقع، ولذلك فهو ضرب من الخيال ليس له وجود واقعي ومن ثم يزيد الوضع من الصعوبة والغموض والتعقيد.

4– هناك من يدعي أن إسهامات ڤيبر السوسيولوجية قد تنطبق فقط على كتاباته عن الدين والبيروقراطية والقانون كما تأتي معظم تحليلاته الأخرى في إطار الثقافة العامة، والعلوم الاجتماعية الأخرى.

النتائج:

سعياً لتحقيق أهداف البحث والإجابة على تساؤلاته؛ خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، وهي كالآتي:

1. توصل البحث إلى أن **السوسيولوجيا عند ڤيبر** هي العلم الذي يتخصص بفهم الفعل الاجتماعي وتأويله من أجل الوصـول إلى تفسـير علمي لمجراه وآثاره. وبالتالي فهو يرفض حتمية ماركس ودوركايم اللذين يضعان الإنسان ضمن نسيج من الضغوط الاجتماعي غير الواعية.
2. بيّنَ البحث أن **المجتمع عند ڤيبر** هو نتاج أفعال الأفراد الذي يتصـرفون تبعاً للقيم وللدوافع وللحسابات العقلانية. ويؤمن ڤيبر بأن ما ندعوه سوسيولوجيا هو علم مهمته الفهم عن طريق تأويل النشاط الاجتماعي. ويعني هذا أن المجتمع يتكون من مجموعة

من الأشـــخاص الذين يقومون بســـلوكيات أو أفعال أو أعمال، وهذه الأفعال هي **جوهر أطروحة علم الاجتماع.**

3. توصل الباحث من خلال **قراءة وتحليل منهجية ڤيبر التفهيمية** إلى أنه حرص أن يحدد **مقولة الفهم والتأويل** كأسـاس منهجي للكشـف عن **معاني الأفعال والظواهر الاجتماعية في المجتمع ككل.**

4. كما وجد الباحث أن ڤيبر حدد **مقولة الفعل الاجتماعي** كأساس لمنهجيته واعتبرها جوهر مهمة علم الاجتماع، لذا يجب علينا أن نفهم أن الفعل الاجتماعي هو عبارة ســـلوك بشـــري يقوم كل من الفاعل أو الفاعلين بإضـــفاء عليه معناً ذاتياً. وأن هذا الفعل متجدد من خلال فهم وتأويل الأفراد الآخرين له.

5. خلص البحث أيضـــاً إلى أن دراســة معاني الفعل الاجتماعي حســب ڤيبر تتطلب وجود **أداة منهجية أطلق عليها النموذج المثالي** وهو عبارة بناء عقلي يتشـــكل من خلال ظهور أو وضـوح سـمة أو أكثر أو وجهات نظر يمكن ملاحظتها في الواقع ومعنى ذلك أن ركائز المقاربة المنهجية الڤيبرية تتكون من النموذج المثالي، ونســـق المعاني من خلال فهم الفعل الاجتماعي وتأويله. ومعنى ذلك أن ڤيبر أقام **نماذجه المثالية** كأطر تصورية مجردة، واستخدمها كأدوات منهجية لتحقيق الفهم السوسيولوجي في دراسة أنماط **الفعل والعلاقات الاجتماعية والظواهر الســـوســيو- ثقافية** في إطار ثقافة معينة وهذا ما فعله عندما ربط ما بين روح الرأسمالية والأخلاق البروتستانتية على اعتبار أن الأخيرة تمثل النموذج المثالي لنمو وتطور الرأسمالية الغربية.

6. أثبت البحث أن ڤيبر سعى بكل إمكاناته المعرفية والمنهجية أن يبرهن على أن الرأسمالية تعد نظاماً اجتماعياً واقتصادياً في العصر الحديث، وهي في مجملها نتاجاً طبيعياً للدين البروتستانتي وما يقوم عليه من مبادئ وقيم ومعتقدات وتصورات دينية ومجتمعية خاصة

الكالفينية منها التي توجه الحياة اليومية والأنشطة الاقتصادية المنتجة مثل: الادخار، والاستثمار، والعمل، والإنتاج، واحترام المهن وقدسيتها.

7. استنتج الباحث من خلال ما تقدم تحيّز ڤيبر المطلق في جانب مهم من آرائه وأفكاره عندما ركّز على عوامل ظهور وتطور الرأسمالية الغربية خاصةً في مناطق معينة من المجتمعات الأوروبية، حيث بنى مجمل تصوراته بناءً على مذاهب مسيحية معينة دون غيرها باعتبارها النموذج المثالي لتطور الرأسمالية الغربية. إلا أن ظهور الرأسمالية في أواخر القرن العشرين في مناطق أخرى من العالم وبالأخص جنوب شرق آسيا (اليابان – على سبيل المثال – التي تدين بديانة أرضية تدعى الشنتو) أفقدت تصورات ڤيبر حول نشأة الرأسمالية الغربية وعلاقتها بالأخلاق البروتستانتية الكثير من مصداقيتها العلمية والواقعية.

التوصيات:

بالاستناد إلى النتائج التي توصل إليها البحث يوصي ويقترح الآتي:

1. دعوة الباحثين والمهتمين في تخصص مناهج البحث الاجتماعي وبالأخص الكيفية منها إلى إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث التحليلية والنقدية حول منهجية ڤيبر التفهيمية **لمعرفة الملابسات الفكرية وأحداث السياق الاجتماعي وتفاعلاته التي ساهمت في إنضاج وإرساء مقاربته المنهجية.**
2. حث أعضاء هيئة التدريس في أقسام علم الاجتماع على ضرورة إقامة المحاضرات والندوات الأكاديمية والتطبيقية للطلبة بهدف **توضيح قدرة ومميزات منهجية ڤيبر التفهيمية والتأويلية** في دراسة الظواهر الاجتماعية التي تندرج تحت أسلوب البحث الكيفي في علم الاجتماع.

3. تشـــجيع الطلبـة في علم الاجتمـاع على توظيف منهجيـة ڤيبر التفهيميـة من خلال **اســتخلاص وبناء النموذج المثالي** للظاهرة المدروســة عند إجراء أبحاثهم ودراســاتهم السوسيولوجية خاصةً في مرحلتي الليسانس والدراسات العليا.
4. النظر إلى منهجية ڤيبر التفهيمية باعتبارها من **أقرب المقاربات المنهجية** التي تصـــلح لدراســـة مشـــكلاتنا وظواهرنا الاجتماعية، لأنها تأخذ بعين الاعتبار المتغيرات الثقافية **كمدخل منهجي** عند القيام بإجراء البحوث الســوســيولوجية بالاعتماد على نماذج مثالية يمكن استخدامها لفهم وتحليل الواقع الاجتماعي.

References

- Abu Shanab, Jamal. (2008). **Social behavior - behavioral trend in sociological theory**. 1st edition, Dar Al-Ma'rifa University. Alexandria.

Giddens, Anthony. (n.d). **Capitalism and modern social theory (analysis of the writings of Marx, Durkheim, and Max Weber)**. No edition. (Translated by: Adeeb Youssef Shish). Syrian General Book Authority. Damascus.

- Al-Hourani, Muhammad Abdel Karim. (2008). **Contemporary theory in sociology - differential balance is a synthesis formula between functionalism and conflict**. 1st edition. Dar Majdalawi. Oman.

- Al-Haidari, Ibrahim. (1990). **Dialectic dialogue around Max Weber's thesis "The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism**". Journal of Social Sciences. Volume: 18. Issue: 1. Kuwait.

- Al-Saadani and others, Abdul Rahman. (2010). **Introduction to scientific research (concepts, foundations, procedures, evaluation)**. 1st edition. Modern Book House. Cairo.

- Sutari, Berti. (2015). **Social theory and human reality**. 1st edition. Issue: 2060. (Translated by: Ali Farghaly). National Center for Translation. Cairo.

- Al-Sayed, Radwan. (1997). **Politics of Contemporary Islam: Reviews and Follow-ups**. 1st edition. Arab Book House. Beirut.

- Bretlot, Jean-Michel. (1999). **Building sociology**. 1st edition. (Translated by: Georgette Al-Haddad) Owaidat Publishing and Printing. Beirut.

- Element, Al-Ayashi. (1990). **Social phenomenology**. 1st edition. Talas House. Damascus.

- Chirton, Mel. Brown, and Anne. (2012). **Sociology theory and method**. 1st edition. Issue: 2075. (Translated by: Hanaa Al-Gohary). National Center for Translation. Cairo.

Timashev, Nicholas. (1978). **Sociological theory, its nature and development**. 5th edition. Book: the second. (Translated by: Mahmoud Odeh and others). (Review: Muhammad Atef Ghaith). Contemporary Sociology Series. Dar Al Maaref. Cairo.

- Jones, Philip. (2010). **Social theories and research practice**. 1st edition. (Translated by: Muhammad Yasser Al-Khawaja). Misr Al Arabiya for Publishing and Distribution. Cairo.

- Giddens, Anthony. (2005). **Sociology (with Arabic inputs)**. 1st edition. (Translated and presented by: Fayez Al-Sayyagh). Arab Organization for Translation. Distribution Center for Arab Unity Studies. Beirut.

- Hamidi, Saddam. (2015-2016). **Foundations of constructing the critical approach according to Anwar Al-Jundi**. A magister message that is not published. College of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature. University of Kasdi Merbah Ouargla.

- Hassan, Samir Ibrahim. (2012). **Introduction to sociology**. 1st edition. Dar Al Masirah. Oman.

- Hamdawi, Jamil. (2017). **Sociological theories**. 1st edition. Al-Warraq. Oman.

- Khalil, Khalil Ahmed. (1984). **Basic concepts in sociology**. 1st edition. House of Modernity. Beirut.

- Zakaria, Buraq. (2011). Max Weber: **Religion, work ethics, and capitalism**. Understanding Magazine. Issue: 034. Ministry of Endowments and Religious Affairs of the Sultanate of Oman. Oman.

-Scott, John. (2009). **Sociology basic concepts**. 1st edition. (Translated by: Muhammad Othman). Arab Network for Research and Publishing. Beirut

- Abdel-Gawad, Mustafa Khalaf (2011). **Contemporary readings in sociological theory**. 2nd ed. Dar Al Masirah. Oman.

-Add me, Ikram. (2013). **Sociology of religion and politics**. 1st edition. Knowledge Forum. Beirut.

- Ghoneim et al., Rashad. (2008). **Contemporary theory in sociology**. 1st edition. University Knowledge House. Alexandria.

- Fadl, Salah. (2002). **Contemporary criticism methods**. Africa East. White House.

- Fayad, Hossam Al-Din. (2021). **Introduction to sociology - from the stage of rooting concepts to the stage of foundation**. 1st edition. Towards an enlightened sociology series. Book: The first. part One. Arab Family Library. Istanbul.

- Fayad, Hossam Al-Din. (2022). **The nature of social action according to Max Weber**. Believers Without Borders Foundation. Morocco, Rabat). https://2u.pw/QghnjoZc

- Abdel Nour, Muhammad. (2017). **Max Weber's method of understanding**. Dr. Mohamed Abdel Nour's page. University of Ghardaia. https://2u.pw/ZusfdYWq

- Fayad, Hossam Al-Din. (2023). **Sociology of social relations**. 1st edition. Series towards an enlightening meeting. Book: Fourth. Modern library house. Ankara.

- Fayad, Hossam Al-Din. (12.11.2023). **Foundations of the cognitive approach according to Abdul Wahab Al-Mesiri (a reading in contemporary Arab thought)**. Al-Hiwar Al-Mutamaddin website. Issue: 7793. https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=810946

- Fayad, Hossam Al-Din. (2024). **Theoretical framework in social research; Employing theoretical categories in explaining social phenomena (analytical-applied study)**. Rayhan Magazine for Scientific Publishing. Volume: 5. Issue: 46. Syria.

- Weber, Max. (2015). **Economy and Society (Economics, Social Systems, and Powers of Sovereignty)**. 1st edition. Arab Organization for Translation. Beirut.

- Weber, Max. (2015). **Essays on the sociology of religion (Protestant culture)**. 1st edition. (Translated by: Mounir Al-Fandari). (Review: Fadlallah Al-Amiri). Arab Organization for Translation. Beirut.

- Weber, Max. (n.d). **The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism**. No edition. (Translated by: Muhammad Ali Muqallid). (Review: George Abi Saleh). Arab Development Center. Beirut.

- Parsons, Talcott. (1949). **The Structure of Social Action – A study in social theory with special reference to a group of New European writers**. 2nd ed. Free Press. United States of America.

- Ibrahim Abdullah. (2010). **Trends and schools in sociology**. 2nd ed. Arab Cultural Center. Beirut and Casablanca.

- Bayoumi, Muhammad Ahmed. (1985). **Sociology of religion**. 1st edition. University Knowledge House. Alexandria.

Caban, Philip. Dorét, Jean-François. (2010). **Sociology, from major theories to daily affairs, flags, dates, and currents**. 1st edition. (Translated by: Iyas Hassan). Dar Al-Farqad. Damascus.

- Layla, Ali. (2004). **Max Weber and the counter-search for the origins of contemporary capitalism**. 1st edition. Egyptian Library. Cairo.

- Authors group. (2011). **Sociology of knowledge - the dialectic of the relationship between society and religious knowledge**. 1st edition. Al-Ghadeer Center for Studies, Publishing and Distribution. Beirut.

- Mortada, Abdul Malik. (2007). **In critical theory**. 1st edition. Supreme Council of Culture. Cairo.

- Al-Rubaie, Ismail Nouri. (2015). **To eat well?! Weber and German rationalism**. Journal of Studies and Research. Volume: 07. Issue: 18. Algeria.

- Kalakhi, Youssef. (2012). **A reading of the book The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism by Max Weber**. Civilized dialogue.

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=289914

- نشر هذا البحث في مجلة ريحان للنشر العلمي:

- فياض، حسـام الدين. (2024). **منهجية الفهم والـــتأويل عند ماكس ڤيبر "إنك تدرس لكي تفهم" (دراســة تحليلية – تطبيقية)**. مجلة ريحان للنشر العلمي. المجلد: 7. العدد: 48. سوريا. ص(292-325).

• **https://rjsp.org/the-methodology-of-understanding-and-interpretation-according-to-max-weber-you-study-in-order-to-understand-analytical-critical-study/**

*** د. حسام الدين فياض/ الأستاذ المساعد في النظرية الاجتماعية المعاصرة/ قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب في جامعة ماردين– حلب سابقاً.**

باحث وأكاديمي في العلوم الثقافية واللغويات واللســانيات الاجتماعية. لـه عدد من المؤلفات السوسيولوجية؛ (سلسلة نحو علم اجتماع تنويري)، بالإضافة إلى العديد من الأبحاث العلمية والمقالات الفكرية التي تجمع بين النظرية السوسيولوجية والفكر الاجتماعي والثقافي النقدي المعاصر.